

آثار بلاد اليمن

من خلال نصوص الهمداني

د. راضي دغفوس^(*)

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية،

تونس - الجامعة التونسية

ملخص:

نتناول بالدرس في هذه الورقة المحاور التالية:

أولاً: التعريف بالهمداني وبمؤلفاته التي تحتوي على وصف للتراث الأثري اليمنية.

ثانياً: استعراض لأهم ما جاء في كتابات الهمداني من ذكر للآثار التي شاهدها بنفسه في عصره.

ثالثاً: بعض الملاحظات حول ما كتبه الهمداني حول هذه الآثار.

الكلمات المفتاحية: الهمداني، آثار، مؤلفات الهمداني.

(*) نشرت هذه المادة ضمن كتاب: المهاجر إلى هجر العلم في اليمن. كتاب مهدى إلى القاضي إسماعيل بن علي الأكوح بمناسبة بلوغه الخامسة والثمانين، منشورات المعهد الفرنسي للآثار والعلوم الاجتماعية، صنعاء، 2006، ص 131-144. ووافق الكاتب والمركز على إعادة النشر هنا.

الإشكالية العامة:

يندرج الموضوع المتعلق بـ "آثار اليمن من خلال نصوص الهمداني" في إطار البحث عن التراث الأثري اليمني وتقييمه والتعرف على مدى أهميته من حيث العمق التاريخي وربطه ببقية التراث الموجود في مختلف البلدان العربية.

من ناحية أخرى سوف نعتمد في هذا الباحث على كتابات أبي محمد الحسن الهمداني الذي عاش في القرن الرابع الهجري/ العاشر للميلاد، وذلك للكشف والتعريف بالآثار اليمنية التي ترجع إلى الفترات القديمة (ونعني بها فترات معين وسبأ وقتبان وأوسان وحضرموت)، كذلك سوف تبين كيف يمكن للمؤرخ ولعالم الآثار العربي من مقارنة هذا التراث المتنوع بالتراث العربي الذي كان موجوداً في نفس الفترات التاريخية في كامل الجزيرة العربية وفي منطقة الشرق الأوسط بأسرها.

ثم سنحاول أن نطرح من خلال هذه الورقة - إشكالية مدى مطابقة وصف الهمداني للآثار اليمنية التي شاهدها بنفسه في القرن العاشر، بما شاهده الرحالة الغربيون مثل "نيوبور" في القرن السابع عشر، وبما يقوم به حالياً علماء الآثار والنقائش من حملات تنقيب واستكشاف لهذا التراث المتنوع في العديد من المواقع العربية.

أولاً: الهمداني ومؤلفاته عن آثار اليمن

أ. التعريف بالهمداني:

هو أبو محمد الحسن بن أحمد بن يعقوب بن يوسف بن داوود بن سليمان بن الدمينه البكيللي الأرحبي الهمداني، ويلقب بابن الحائك أو لسان اليمن.

ولد في صنعاء في النصف الثاني من القرن الثالث للهجرة/ القرن التاسع للميلاد، حوالي سنة 280هـ/ 892م. عائلته أصيلة من المراسي - موقع يوجد في منطقة بكيل، شرق شمالي حيوان.

تلقى تكويناً متنوعاً في مختلف أصناف العلو: نحو، أدب، شعر، أنساب، تاريخ، جغرافيا، فلسفة، فلک، معادن. وأطلع على العديد من كتب اليونان

والهند، والفرس، كما قام بالعديد من الرحلات فجاب البوادي اليمنية وأخذ المعرفة عن الأعراب ومشائخهم من أمثال أبي زغب الحضرمي، محمد بن عبيد السكسكي، محمد بن عيسى العناري، أبو مالك الإشكري، محمد بن أبي معمر الدلاني.. طاف الهمداني -أيضا- في مسالك الجزيرة العربية، وسجل مواقعها وأخبار سكانها، ودخل حضرموت وزار نجد والحجاز، لاسيما مكة والمدينة، وحج عدة مرات.

من ناحية أخرى اتصل الهمداني بزعماء اليمن وأقباؤها وملوكها مثل: بني الكرندي، آل يعفر، الحواليين، آل الضحاك.. ولازم خاصة أبا جعفر الضحاك وشاركه في حروبه.

من أشهر شيوخه وأساتذته تذكر الأبرهي الحميري، محمد بن أحمد الأوساني، محمد الأغر الشهابي، الخضر بن داود المكي وغيرهم..

أقام الهمداني في ريدة التي تقع في منطقة البون الأسفل، وهي عاصمة سيد همدان أبو جعفر أحمد بن محمد بن الضحاك الحاشدي، ثم انتقل إلى صعدة حيث بقي ما يقارب عشرون سنة، وأطلع فيها على أخبار خولان وحمير، وقرأ سجل محمد بن أبان الخنصري.

ونظراً لمشاركته في الحياة السياسية وفي الصراعات بين مختلف الأطراف اليمنية (بنو يعفر، الزيديون، آل الدعام الهمداني وآل الضحاك) فقد سجن الهمداني مرتين: المرة الأولى بصعدة سجنه الإمام أحمد الناصر، ثم انتقل بعد إطلاق سراحه إلى صنعاء؛ حيث سجنه أبو حسان أسعد بن أبي يعفر الحوالي بأمر من الإمام الزيدي أحمد الناصر، وتم ذلك في سنة 319هـ/931م، بسبب تعصيه لليمنية ورفضه للزيدية.

والملاحظ هو استمرار الهمداني في نضاله ضد الزيدية، غير أنه خرج من السجن في حدود سنة 321هـ/933م، بتدخل من أمير زبيد وتهامة ابن زياد، والأرجح أنه توفي فيما بين: (سنة 350هـ/970م، وسنة 360هـ/979م) بمدينة ريدة في البون.

ب. مؤلفاته

ألف الهمداني العديد من الكتب في ميادين متنوعة، منها: التاريخ، والجغرافيا، والفلسفة، والشعر، والأدب، والنحو، والفلك، والمعادن.. ومن أهم

مؤلفاته التي تتعلق بالتراث اليمني نذكر على الأقل ثلاثة كتب: صفة جزيرة العرب، الإكليل، والقصيدة الدامغة.

1. صفة جزيرة العرب

هو كتاب عن جغرافية الجزيرة العربية يتضمن معلومات هامة عن الظواهر الطبيعية للجزيرة العربية وأقسامها وسكانها ومحصولاتها الحيوانية والزراعية والمعدنية ومعابرها النهرية والبرية. وقد اهتم الهمداني في هذا المؤلف باليمن الخضراء وجزائرها ومدنها وجبالها وأوديتها ومآثارها ومخاليقها وعجائبها وقبائلها، وذكر كثيراً من الأشعار للتدليل على معلوماته الجغرافية. يعتبر هذا الكتاب من أهم المصادر الجغرافية للجزيرة العربية ولليمن بالخصوص. وقد اعتمد الهمداني لوضعه على خبرته الشخصية وملاحظاته الدقيقة وأسفاره في مختلف أصقاع الجزيرة العربية.

حقق الكتاب ونشره المستشرق النمساوي "مولر بليدن" ما بين سنة 1884-1891، ثم أعاد تحقيقه ونشره القاضي محمد بن علي الأكوع في الرياض سنة 1977.

2. القصيدة الدامغة

تتضمن ما لا يقل عن ستمائة بيت مع شرح مفيد ومفصل. ويرد فيها الهمداني على قصيدة الكميت بن زيد الأسدي في تفضيله عدنان على قحطان. المهم هو استعراضه لتاريخ اليمن منذ أقدم العصور مع دفاعه عن القحطانيين في إطار الصراع بين قبائل الشمال (العدنانيون) وقبائل الجنوب (اليمنيون) والمفاخرة بين المجموعات القبلية العربية. وما يذكر أن هذه القصيدة - بما جاء فيها من أبيان للدفاع عن قحطانيته - جلبت له الكثير من العداوات.

3. الإكليل

هو عبارة عن موسوعة علمية في عشرة أجزاء تهم تاريخ اليمن وحضارته القديمة والإسلامية من أثار وأنساب ومحافد وقصور وسدود. ولم يصلنا منه إلا أربعة أجزاء:

الجزء الأول: "في مبدأ الخليفة وأصول الأنساب من العرب والعجم ونسب مالك بن حمير" حققه ونشره في أوبسالة بالسويد المستشرق لوقفرن سنة 1954،

ثم أعاد تحقيقه ونشره بالقاهرة القاضي محمد بن علي الأكوع سنة 1963م وأعيد طبعه أخيراً في صنعاء سنة 2004م.

الجزء الثاني: "في نسب ولد الهميسع بن حمير ونوادر أخبارهم" وقد حققه ونشره عدة مرات القاضي محمد بن علي الأكوع (القاهرة سنة 1963 و1966 ثم بغداد سنة 1980 وأخيراً صنعاء 2004).

الجزء الثامن: "في ذكر قصور حمير ومداينها ومدافها وما حفظ من شعر علقمة بن ذي جدن والمرائي والمساند". حققه ونشره في بغداد الأب "أنستاس ماري الكرملي" سنة 1931، ثم أعاد تحقيقه ونشره "ببرنستن" بأمريكا نبيه فارس سنة 1940، وأخيراً قام القاضي محمد بن علي الأكوع بتحقيقه من جديد ونشره بصنعاء عدة مرات، آخرها سنة 2004م.

الجزء العاشر: "في معارف همداني وأنسابها وعيون أخبارها" وقد حققه ونشره بالقاهرة محب الدين الخطي سنة 1968 قبل أن يعيد تحقيقه ونشره بصنعاء القاضي محمد بن علي الأكوع عدة مرات آخرها سنة 2004م.

أما الأجزاء الأخرى فتعلق بـ"فضائل قحطان ومناقب اليمن" (الجزء الثالث) و"السيرة القديمة من عهد يعرب بن قحطان إلى عهد تبع أبي كرب أسعد الكامل" (الجزء الرابع)، و"بالسيرة الوسطى من عهد أبي كرب إلى عهد ذي نواس" (الجزء الخامس)، و"بالسيرة الأخيرة من عهد ذي نواس إلى عهد الإسلام" (الجزء السادس). وتضمن الجزء السابع "التنبيه على الأخبار الباطلة والحكايات المستحيلة"، أما الجزء التاسع فموضوعه "أمثال حمير وحكمها باللسان الحميري".

سوف نتوقف عند الجزء الثامن الذي يهتم موضوع ورقتنا لندرس محتواه ونتعرف على ما ذكره الهمداني من معلومات وأخبار عن التراث اليمني القديم.

ثانياً: الآثار اليمنية من خلال كتابات الهمداني أو "الهمداني رائد علم الآثار اليمنية"

أ. الجزء الثامن من الإكليل ومحتواه:

إن عنوان الجزء الثامن من الإكليل "في محافد اليمن ومساندها وقصورها ومراثي حميري والقبوريات" هو عنوان معبر في حد ذاته عن مضمون

الكتاب الذي كان الهمداني وضعه للتعريف بمختلف الآثار اليمنية القديمة. المهم هو أن جزءاً من هذه الآثار ما زال قائماً في عصر المؤلف (القرن الرابع - القرن العاشر)، وأن الهمداني في نطاق زيارته عبر اليمن شاهد بنفسه هذه البقايا ووصفها لنا بكل دقة من حيث مواقعها وأنواعها وأحجامها، كما لم ييخل علينا بتصوير حروف المسند، ونقل العديد من النقائش التي شاهدها لاسيما المساند القبورية.

بدأ الهمداني كتابه بذكر ما أسماه "قصور اليمن ومعاقلها وما قيل فيها من الشعر وما فيها من الأخبار". وقد خصص في هذا الإطار صفحات مفيدة جداً لعلماء الآثار المحدثين عن قصر غمدان في صنعاء، وذكر لنا أن مؤسسه هو سام بن نوح الذي تجمع المصادر اليمنية على أنه مؤسس مدينة صنعاء واسمها أزال. ويروي الهمداني أن سام "كان يرتاد أطيب البلاد.. فوجد اليمن أطيبه مسكنا وارتاد اليمن فوجد حقل صنعاء أطيبها". والجدير بالذكر أن صنعاء قد أسست بين سفحي جبلي نغم في الشرق، وعيبان في الغرب. وكان قصر غمدان يتكون من عشرين سقفاً غرقاً بعضها على بعض وبين كل سقفين عشرة أذرع، وكان مزيناً بالرخام والمرمر والجزع. ويضيف الهمداني أن "هذا القصر لم تنزل حمير تنزله وتزيد فيه حتى أخرج في أيام عثمان". كما يرود لنا روايات مختلفة عن باني هذا القصر ويرجح أنه القيل ألي شرح يخصب.

وينتقل الهمداني لذكر ظفار المعروفة بحقل يحصب ويعدد قصورها ويخص بالذكر منها قصر ذي ريداني عاصمة الحميريين وقصر شو حطان وقصر كوكبان. كما يبين في حديثه عن قصور اليمن "إنه لم يبق من غمدان سوى قطعة من أسفل جداره، وأنه لم ير مثل ناعط ومأرب وخمر، لكن أفضلها ناعط". والملاحظ أن ناعط تقع شمال صنعاء في منطقة "البون" التي كان الهمداني أقام فيها - كما أسلفنا حديثاً - مدة طويلة خاصة في مدينة ريدة. ويوجد في ناعط على حد تعبيره ما يزيد على عشرين قصراً منها قصر يعرق وهو قصر الملكة وقصر ذي لعوة المكعب. ويؤكد الهمداني أن هذه القصور كانت مسورة وتوجد تحتها صهاريج للمياه. أما بقية القصور فيجعلها الهمداني في مأرب وأشهرها سلحين قصر بلقيس ملكة سبأ، ثم قصر الهجر وقصر القشيب.

يذكر لنا من ناحية أخرى قصر النضد الذي يصعب تحديد موقعه اليوم - ثم قصور بيت حنبص، وقصور بيت محفد، وقصر الدليل، وقصر شحرار

وبينون (شرقي بلاد عنس) وقصور دامغ (ما بين صنعاء ودمار) التي هدمها الأحباش في أيام ملكها لليمن. ثم ينتقل الهمداني لذكر مآثر ضهر (وهو مكان فيه واد وقلعة ومصنعة) وريثاء، ويواصل استعراض المحافد والقصور فيذكر قصر غيمان- واسمه المقلب- وقصر فائش بوحاظة بلد ذي الكلاع.

بالنسبة لمحفد الذي يقع ما بين صنعاء ومأرب يبين الهمداني أنه بقي منه شيء قائم وأن سعد بن خولان هو الذي تملك به بعد خروجه من مأرب، ويورد عدة أشعار في هذا الشأن. ويذكر قصور حدقان ورداع وشبام سحيم (وجبلها ذو مرمر من المعازل المشهورة) وشبام بيت أقيان (أو شبام يحبس التي تقع شمال غربي صنعاء) وهي عاصمة مملكة آل يعفر الحواليين ثم قصري نجر وعمران باليون وقصر موكل (جنوب شرقي دمار) وقصر أفيق وقصر هكر ببلد عنس وقصر فيد- على طريق العراق إلى مكة- وقصر بينون وقصر العتمية وقصر واس وقصر ذو ريعان وقصر الأهجر (شمالي شرقي دمار).

ويمر الهمداني بعد ذكر كل هذه القصور إلى تعداد حصون السر (ذو القيل، القمر، حصي، شمر، البيضاء، الهجيرة) وردمان (منها قصر وعلان) ومحافد حضرموت (منها دمون لحمير والنجير لكندة وشبوة وحورة وتريم). كما يذكر لنا محفد وريثاء- بين الجوف ومأرب- وكان لآل نشق من بكيل.

وفي الباب الموالي من الجزء الثامن يتوقف الهمداني لتعداد محافد همدان ومنها قصر سخي وهو من عجائب اليمن وقصر عصام شرقي ناعط وقصر نوفان بخيوان وقصر خمر الذي ولد فيه الملك أسعد الكامل وهو كثير المياه وقصور يسحم ودعان وشهير وبيت الورد- غربي ثلا- وشرعة ومرميل وخوان وعلمان وعمد وميفعة وهندة وهنيدة وعمران- وهو قصر في أعلا البون- "وهو أعجب مآثر البون" على حد تعبيره.

من محافد همدان كذلك يذكر الهمداني قصور مدر (وعدها أربعة عشر، منها ما هو اليوم خراب ومنها ما هو اليوم متشعث- بمعنى متغير- ومنها ما هو عامر مسكون).

ومن أقدم قصور اليمن قصر ريذة- دار اللعويين من بكيل- وهو تلفم الذي في أصل جبله بئر، ويضيف الهمداني في شأن هذه البئر قائلاً أنه "ليس في اليمن أغزر منها بحراً ولا أعذب ماء ولا أصفى أصفى منها صفاء ولا أرق منها رقة ولا أخف منها خفة ولا أحلى منها حلاوة ولا أصح منها صحة".

ومن محافد اليمن في منطقة الجوف براقش ومعين؛ فأما معين فهي خراب في عصر الهمداني، وأما براقش فقائمة في أصل جبل هيلان. كما توجد بالجوف والبيضاء والسوداء وغيرهما من المآثر.

بالنسبة للسدود يبين الهمداني أنها أسداداً حميرية منها سد مأرب المشهور الذي جاء ذكره في القرآن الكريم وسد الخائق بصعدة الذي بناه مولى سيف بن ذي يزن (نوال بن تيك) وأخريه إبراهيم موسى بن جعفر بن محمد العلوي بعد هدم صعدة. وسد ريعان وسد سيان (سنحان اليوم جنوب صنعاء) وأسداد بلاد عنس (مثل سد جيرة) وأسداد يحصب وعددها ثمانون، منها قيصان وريوان - وهو سد قتاب - وغيرها. ويذكر الهمداني سد بيت كلاب في ظاهر همدان غير أنه لا يعرف أسداد بلد ذي رعين.

وقبل الحديث عن كنوز اليمن ودفائنها وعددها ثمانية يذكر الهمداني البقاع المقدسة أو المرحومة (وهي أبين والجند ومأرب وهكر وزبيد)، ثم البقاع المحرومة أو المشنومة (ختا وأزال - وهي صنعاء - وتهامة والمعافر).

أما الكنوز فهي: إرم مدينة شداد بن عاد - ذخر وهو جبل بأرض المعافر - جبا وهو حصن الضراعة ويقع في جبل صبر - ظفار خبان وهو حصن التابعة بحقل يحصب - مأرب الجوف - شبام ذي مرمر - غمدان والحمراء من حضرموت.

ويخصص الهمداني بقية أبواب كتابه لحروف المسند وللقبوريات ولما حفظ من مرثي لحمير.

بالنسبة لحروف المسند قام الهمداني بضبطها وإثباتها وصورها بمختلف الأوجه وقام بوضع الحروف التي تقابلها بالعربية مع احترام الترتيب الأبجدي.

وفي شأن القبوريات أورد لنا الهمداني أخباراً متعددة نقلها عن هشام بن الكلبي وتتعلق ببعض الشخصيات الحميرية وبمدافنهم.

من خلال هذا الكتاب يبدو أن الهمداني كان مولعاً بتاريخ اليمن وآثارها وقد أورد العديد من الأخبار عنها في شكل يغلب عليه الطابع الأسطوري وهو أمر يجعل المؤرخ وعالم الآثار في حيرة لمعرفة مدى صحة هذه المعلومات ومدى مطابقتها للواقع.

ب. كتاب صفة جزيرة العرب وما يتضمنه من مادة أثرية:

كنا ذكرنا إن هذا الكتاب يهتم بجغرافية شبه الجزيرة العربية وأن مؤلفه الهمداني ضمنه معلومات هامة عن مختلف المظاهر الطبيعية والبشرية لبلاد اليمن. من خلال استعمالنا المتواصل لهذا المصدر لاحظنا أنه يتضمن مادة أثرية غنية لا يمكن لعالم الآثار المهتم باليمن بصفة خاصة تجاهلها. فالهمداني لا يكتفي في هذا الكتاب بوصف اليمن وذكر مميزاته الجغرافية فحسب، بل نجده يتتبع أسماء المواقع ليدكر لنا تاريخها بكل تفصيل، كما لا يبخل علينا بإيراد كل ما يتعلق بها من معلومات عن تأسيسها وما وجد فيها من آثار (مباني، قصور، معابد، مع ذكر لخصائصها المعمارية). وبطبيعة الحال تعتبر هذه المعلومات أحسن عون لعالم الآثار للتثبت من صحتها ومعاينة ما بقي منها اليوم ومقارنته بأوصاف الهمداني لهذه المعالم في عصره.

ولعل أحسن مثال لذلك هو النص الهام الذي أورده في خصوص اللغات التي كانت منتشرة في شبه الجزيرة العربية في القرن العاشر للميلاد. يؤكد الهمداني أن بلاد العرب كانت مقسمة من الناحية اللغوية إلى قسمين: اليمن وباقي المنطقة، بالنسبة لليمن يذكر تواجد ما لا يقل عن خمسة مستويات لغوية: العربية الفصحى - العربية الرديئة - العربية المتأثرة بالحميرية - الحميرية، وأخيراً اللهجات غير المفهومة (الغتم).

إلى أي حد يمكن للمؤرخ ولعالم الآثار الاعتماد على معطيات الهمداني حول آثار اليمن القديمة التي ذكرها في كتاباته وشاهد البعض منها بنفسه؟

ثالثاً: ملاحظات حول معطيات الهمداني

أ. الملاحظة الأولى تتعلق بمصداقية الهمداني

يعتبر لسان اليمن المصدر الأساسي بالنسبة لأغلب الجغرافيين والرحالة الذين زاوروا اليمن منذ القرن السادس عشر للميلاد وقاموا بوصف بعض المواقع الأثرية ال مشهورة مثل مأرب، ويعتبر الأب بارز Le Pere Parz الذي اخترق بلاد حضرموت من ظفار إلى صنعاء أول أوروبي شاهد آثار مملكة مأرب وألف كتاباً بعنوان "تاريخ أثيوبيا" ضمنه كل تفاصيل رحلته في النصف الثاني من القرن السادس عشر. وفي القرن السابع عشر - 1763 - قام العالم الدنمركي كارسن

نيوبور Carsten Nibulr صحبة مجموعة من العلماء بزيارة اليمن وقد سجل في كتاب طبع المرة الأولى في كوبانهاجن سنة 1773- 1776 ثم المرة الثانية في باريس سنة 1779م تحت عنوان "وصف بلاد العرب" كل انطباعات البعثة حول العرب وتاريخهم وعاداتهم وتقاليدهم ومعتقداتهم وثقافتهم. لكن الكتاب لا يهتم بآثار اليمن على أساس أن علم الآثار لم يظهر بعد في أوروبا كعلم له خاصياته ومميزاته ومقوماته.

في الواقع لم تبدأ عملية الاكتشاف العلمي الحقيقي للجزيرة العربية ولليمن بالخصوص إلا في غضون القرن التاسع عشر على أيدي العلماء الأوروبيين من فرنسيين مثل طامييزي Tamisier وبوطا E.Botta وأرنو The j Arnaud وAnand وولستاد J. Wellstaed وكروتندن Cruttenden وهولتن Hulton. والجدير بالذكر أن أرنوهو الذي اكتشف آثار مارب ومجموعة من النقائش القديمة، كما أن ولستاد قام بنشر أو نقشية باللغة الحميرية وهي نقشية حصن الغراب، في حين أن هيالفي J. Halevy زار عدة مواقع مثل: ناعط والجوف ونجران، وتمكن سنة 1869 من نسخ ما لا يقل عن 676 نقشية. وتمكن من جهته العالم النمساوي جلازر E. Glaser من سنة 1882- 1888 من زيارة مواقع عديدة مثل مارب وصرواح، كما نسخ من جهته عدة نقائش وقام بضبط رسوم بعض المعالم مثل معبد بلقيس بمارب.

وقد تواصلت البعثات العلمية في القرن العشرين وإلى اليوم لمزيد من الإطلاع على المواقع ودراسة المعالم اليمنية التي كان الهمداني ذكرها في 10 كتاباته - كما أسلفنا القول.

وفي هذا الإطار يمكن ذكر البعثة التي أرسلتها الأكاديمية النمساوية سنة 1898 بإدارة الأستاذ ملر D.H.Muller لزيارة موقعي نقب الحجر وحصن الغراب. كما نذكر عمليات التنقيب التي قام بها سنة 1928 كارل راتجس Carl Ratjens وفون ويسمان H. Von Wissmann في الموقع السبئي بحقة وأدت إلى اكتشاف معبد ذات بعدان.

من ناحية أخرى شارك العالمان المصريان محمد توفيق سنة 1944- 1945 وأحمد فخري سنة 1947 في هذه العمليات للبحث عن الآثار وتوصل هذا الأخير إلى زيارة عدة مواقع مثل مارب وصرواح، كما قام بنسخ العديد من النقائش

تكفل بنشرها الأستاذ ريكمانس G. Ryckmans فيما بعد. ثم إن فخري رجع إلى مصر محملاً بمجموعة من الصور عن محرم بلقيس وسد مارب.

وتكاثر البعثات الأثرية في النصف الثاني من القرن العشرين، منها البعثة الأمريكية سنة 1950 بإشراف الأستاذ وندل فيليبس Wendell Phillips الذي ركز على منطقة وادي بيحان وخاصة مدينة تمنع. أما البعثات الفرنسية في السبعينات 1975- 1976 فآدت الأولى منها بإشراف العالمة الأثرية جاكلين بيران Jacquelin Pirenne من زيارة ما لا يقل عن خمسين موقعاً في اليمن الشمالي والحصول على عشرات النقائش واللقى الأثرية التي فسحت المجال للتعرف أكثر على القرى اليمنية القديمة التي كان الهمداني ذكرها في كتاباته. وهذا دليل إضافي على أهمية هذه النصوص.

ومما لا شك فيه أن نشر أعمال مختلف هذه البعثات سيؤدي بالضرورة إلى التحقق من مصداقية ما كتبه لسان اليمن.

ب. الملاحظة الثانية تتعلق بمنهجية الهمداني

إن ما ذكره لنا مؤلف الإكليل بخصوص مختلف المعالم من محافد وقصور ومعابد وسدود لا يعني بالضرورة أنه تم اكتشافها بالكامل اليوم. من ناحية أخرى أوضحنا أن الهمداني كان ميز بنفسه ما بين الآثار التي شاهدها وقال إنها ما زالت قائمة في عصره وما بين العديد من المعالم التي اندثرت آنذاك.

المهم هو أن الجهود ما زالت متواصلة اليوم ليتوصل الآثاريون وعلماء النقائش من العثور على لقى ونقائش تدعم ما جاء في كتابات الهمداني.

ج. الملاحظة الموالية تتعلق بتطور الدراسات الأثرية:

إن علم الآثار يفضل الإمكانات المادية الكبرى التي سخرت له من طرف العديد من الدول والمنظمات الثقافية العالمية ويفضل التكنولوجيا الجديدة التي أصبحت متوفرة للعلماء أفرز معطيات كيفية لا بد من تجميعها ونشرها. غير أن الطاقات البشرية ما زالت غير كافية لمواكبة كل الاكتشافات ونشر آلاف من النقائش التي عثر عليها في مختلف المواقع. ونشير هنا إلى أن الهمداني كان سابقاً في هذا المجال؛ حيث إنه تفضن قبل غيره إلى ثروة اليمن الأثرية، كما أكد

على أهميتها بالنسبة لتاريخ بلاده. ويكفي هنا ذكر ما يقوم به حالياً عالم النقائش الفرنسي كريستيان روبان Christian Robin وزملائه اليمنيون من جهود لتجميع أكبر عدد ممكن من النقوش اليمنية، سواء كانت معينة وقتبانية أم سبئية وحميرية وطرحها على الباحثين لدراساتها بصفة علمية. ونأمل أن يستغل ما تم اكتشافه في السنوات الأخيرة في اليمن لتتبع عملية مراجعة وضبط دقيق لتواريخ الممالك اليمنية القديمة ويتسنى للباحثين إبراز خصوصياتها المعمارية والفنية والقيام بمقارنة التراث اليمنية بأمثاله في كامل المنطقة الشرقية.

الخاتمة:

إن كتابات الهمداني - رغم كل ما طرحه من إشكالات - تبقى مهمة للتعرف على التراث اليمني بكل مكوناته. ولا شك أن علماء الآثار والنقائش قد استغلوا ما جاء فيها من معلومات ووظفوها أثناء القيام بحملاتهم التنقيبية في مختلف المواقع القديمة، مثل: مأرب وصرواح وشبة. ولعل أحسن دليل على أهمية نصوص الهمداني بالنسبة لعلم الآثار ما قام به المستشرق النمساوي د. ه. مولر D.H. Muller منذ القرن التاسع عشر عندما اعتمد على مخطوطة المتحف البريطاني من الجزء الثامن من كتاب الإكليل واقتطف منها مواضيع نشرها مع ترجمة ألمانية وأرفقها بدراسة عامة عن عرب الجنوب واليمن السعيد.

قائمة المصادر والمراجع:

أ. المصادر

- الهمداني "صفة جزيرة العرب"، تحقيق محمد بن علي الأكوخ، الرياض 1977.
- "الإكليل"، الجزء الثامن، تحقيق محمد بن علي الأكوخ، صنعاء، 2004.
- الرازي، "تاريخ مدينة صنعاء"، تحقيق حسين عبدالله العمري وعبدالجبار كاسر، صنعاء، 1974.
- ياقوت الحموي، "معجم الأدياء"، طبعة دار المأمون، مصر، د.ت، الجزء السابع.

ب. المراجع:

- شاكرك مصطفى "التاريخ العربي والمؤرخون"، بيروت، الجزء الثاني، 1978.
- توركيل هانسن، "من كوينهاجن إلى صنعاء" ترجمة محمد أحمد الرعدي، بيروت، 1982.
- Joseph CHELHOD, "L'Arabie du sud, histoire et civilisation", trois vol, Paris., 1984.
- Radhi DAGHFOUS, "Le Yemen islamique des origines jusqu'à l'avènement des dynasties autonomes (l'er-3éme s) ", deux vol, Tunis, 1995.
- Le yemen dans les écrits des voyageurs, D'Hérodote à l'anthropologie moderne, Cahiers de Tunisie, n° 145-148;1989, Tunis; pp:43-82.
- Christian ROBIN, "L'Arabie antique de Karib il à Mahomet-Nouvelles données sur l'histoire des Arabes grâce aux inscriptions", REMMM, n° 61,1991-1993:
- Jacqueline PIRENNE, "A la découverte de l'Arabie- Cinq siècles de science et d'aventures", paris, 1958.